المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

حكايات بطولية للأطفال (٢)

سر القنابل الموقوتة

أبو ابراهيم الكبير

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

حكايات بطولية للأطفال (٢)

سر القنابل الموقوتة

ابو ابراهيم الكبير

خليل محمد عيسى

تاليف
روضة الفرخ الهدهد

رسوم وألوان
زكي شقفة

إهـــداء

الى والدي ..

الى من زرع في نفسي حب النضال وعلمني أن

الشعب المثقف لا يموت .

الى روحك الطاهرة ، اهدي كتابي كي تستكين

وتعلم اننا شعب ابد الدهر لا يموت

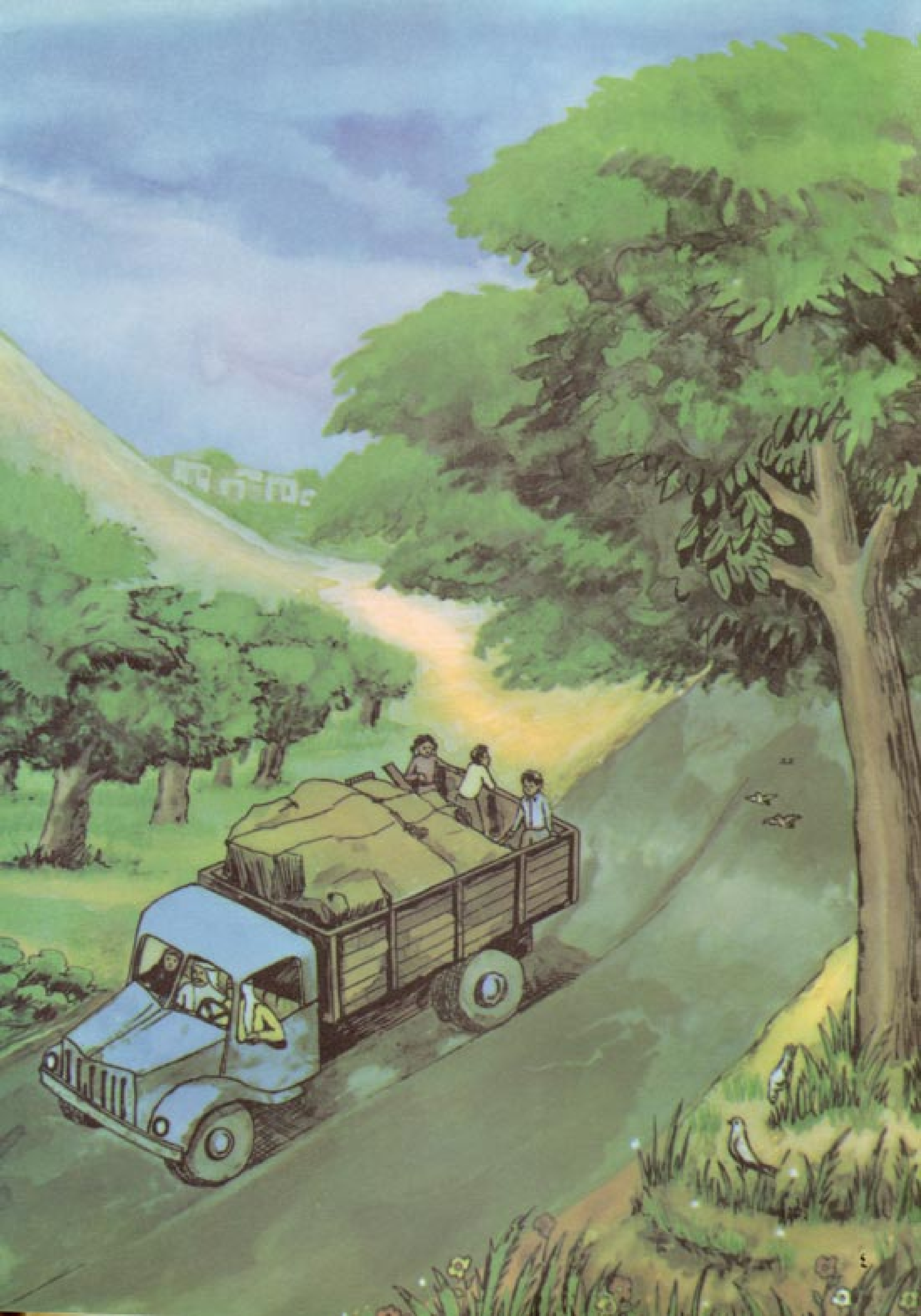

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو ابراهيم الكبير

ركبَ خليلٌ السيارةَ مع والدِهِ ووالدتِهِ واخوتِهِ واتجهوا نحو حيفا .. تركوا وراءهم قريتَهُم الوادعةَ الآمنةَ ، «المزرعةَ الشرقية» قربَ رام الله ، واتجهوا نحو المدينةِ حيفا ، أشجارُ البرتقالِ تملأُ الأُفقَ يمنةً ويسرةً. لونُ اوراقِ شجرِ البرتقالِ جميل .. إنه جميلٌ جداً ، إنَّهُ الأخضرُ اليانعُ . يلمعُ تحتَ ضوءِ الشمسِ . . وإذا لم يكن البرتقالُ فهو الزيتونُ .. شجرةٌ راسخةٌ في الأرضِ ، رافعةٌ رأسَها إلى عنانِ السماءِ .. فَارشةٌ فروعها تظلِّلُ الأرضَ من تحتِها . للهِ ما أجملكَ يا شجرَ بلادي .. ! زيتونَك برتقالَك سنديانَك .. كلُّ ما فيك جميـــل .

وتسيرُ السيارةُ وفيها خليل محمد عيسى ذو الأعوامِ العشرةِ ، ينتقلُ ببصرِهِ فيحتضنُ المناظر الخلابة .. وفجأةً ، تظهرُ أمامَهُ الجبالُ العاليةُ :

– ما هذه الجبالُ يا أبـي ؟

– إنه جبلُ الكرمل .. سلسلةُ جبالٍ تحتضنُ حيفا من الجنوبِ ، وما إن ينتهـي الأبُ من كلامِهِ حتى يرى خليل البحر ...

– وها هو البحرُ الأبيضُ المتوسطُ.. تطلُّ عليهِ حيفا ، ويقعُ فيه مَرفأُها .

كان خليل يتصورُ أنَّ خضرةَ الأشجارِ أجملُ ما في الطبيعةِ ، واذ بزرقةِ البحـر ومياهِهِ الشفافةِ تعادلها جمالاً .

وكان يتصورُ كما لو أنَّ السيارةَ ذاهبةٌ إلى عمقِ البحرِ ، ولكنها دارت فجأةً دورةً كاملةً لتبدأ الصعودَ إلى الجبل ، جبلِ الكرمل .. جبلٌ عالٍ وكبير . كلُّه شجر ، فإذا نظرتَ أمامَكَ ، كانتِ الخضرةُ تملأُ عينيكَ بالجمالِ .. وإذا التفتَ خلفَكَ كانت الزرقةُ تملأُ قلبَكَ بالحبِّ والسعـادة ..

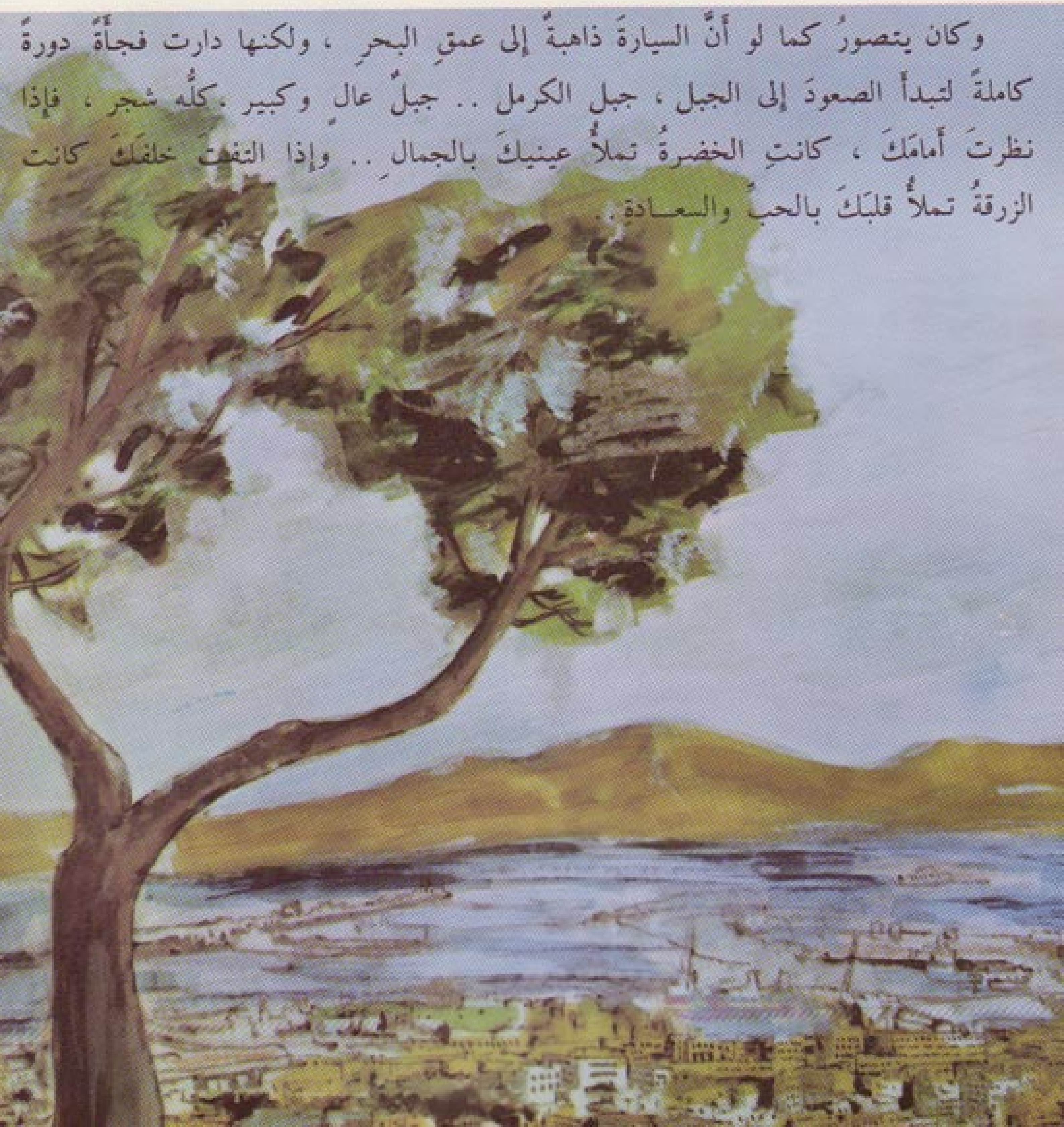

ساعدَ خليلٌ أباه في الزراعةِ مذ كانَ صغيراً.. وما إن جاوزَ السابعةَ عشرةَ من عمرِهِ حتى طلبَ الزواجَ ، فتزوّجَ صغيراً ايضاً .. وقد سكنَ في شارِع الناصرةِ قرب جامعِ الاستقلالِ ، فكانَ يترددُ عليــه باستمرار ، وهناك التقــى بالشيخِ عز الدين القسّام ...

جلس «خليلٌ» يحدِّثُ زوجته «يمنة» :

– إنَّ خطب هذا الشيخ تُؤثِّرُ فيَّ تأثيراً عجيباً يا يُمنة ! لقد كانَ حديثُهُ اليومَ عن الاستعمارِ الانجليزيِ يتجوّلُ بدباباتِهِ ومصفَّحاتِهِ طرقَ حيفا وأزقّتها لارهابِ الناسِ ... يَعتقلُ الرجالَ والشبابَ ويعذِّبهم في سجونِه ... يفرض علينا أن نَقبلَ اليهودَ المهاجرين في أرضنا . ينامُ الناسُ ليلاً ، بينما تنزِلُ سفنُه الالافَ من المهاجرين اليهود على شواطىءِ حيفا ... فما إن نستيقظ حتى نرى الشواطىء وقد امتلأت بهؤلاء اليهود الصهاينة يحتلون أرضنا ..

ـ يُمنَة !

ـ نعم يا خليل !

ـ أتدرين ! كان حديثُ الشيخِ اليومَ عن أهميةِ التعليمِ .. قالَ إنَّ على المسلم أن يتعلَّمَ القراءةَ والكتابة .. وهذا أمرٌ من الله ورسوله.. والاستعمارُ يعمل دوماً عكسَ هذا ، وأنا يا ام ابراهيم امضيتُ طفولةً صعبةً ، فلم يُتح لي تعلُّمُ القراءةِ ولا الكتابةِ .. لكنني سأبدأ .. وسأبدأ الآن ..

وتضحك ام ابراهيم وهي تقول ..

ـ اذن تدرسُ في كتبِ ابننا الصغير .. !

يبدأُ خليل محمد عيسى الملقبُ «بأبي ابراهيم بتعلُّمِ القراءةِ والكتابةِ على يدِ أصدقائِه .. فيقرأُ القرآنَ ويحفظُه ، ويتعلمُ الكتابةَ ويتقنها ..

هناك وفي «حي الحليصةِ» في حيفا يجتمعُ بعضُ الرفاق مع قائدهم الشيخ يتشاورون . هجرةُ اليهود المعتدين تتزايد .. ! وانتقامُ الانجليزِ من العربِ يتزايد .. ! اليهودُ يشترونَ الأراضي العربيةَ ليسكنوا فيها .. ! والحكومةُ الانجليزيةُ توظِّفُ اليهودَ بدلاً من العمالِ العرب .. ! .

ونحنُ ... نحنُ العربَ سنقاومُ الانجليز واليهود .. نشتري السِّلاحَ ونتدرَّبُ للدفاعِ عن أرضِنا .

يقول أبو ابراهيم لزوجته :

– ام ابراهيم ..! قررتُ أن أبيعَ السجادةَ التي في غرفةِ الأولادِ ... فالثورةُ بحاجةٍ إلى بعض المال ..!.

– ماذا ؟ نبيعُ السجادةَ ؟ ألم نبعِ الكراسي قبلَ أيامٍ ؟ .. ألمْ أُعطِكَ إسورة زواجي الذهب لتدفعَ ثمنها للثورةِ ولشراء السلاحِ ..؟

– بلى.. ! ولكنَّ الثورةَ تحتاجُ إلى المزيد .

وعلى هذا الحالِ كانَ أبو ابراهيم الكبير قد صَرَفَ جميعَ ما لديهِ من أموالٍ في سبيلِ شراء الأسلحةِ والمعدات للثورةِ .. فهو يعملُ في دكانٍ في حيفا يبيعُ أكياسَ الخيشِ الفارغةِ والتنكِ ، ويدفَعُ اولاً بأول كلَّ ما يملكُ للثورةِ ، أما الان فإنهُ يريدُ تركَ العملِ في الدكان .. يُعطي كلَّ وقتِهِ للثورة .. لا يكفي المالُ بل الوقتُ والجهدُ المتواصل أيضاً ... ولا يكفي ذلك فقط ، بل هيَ النفسُ والروحُ تقدّمُ رخيصةً في سبيلِ الوطن ..

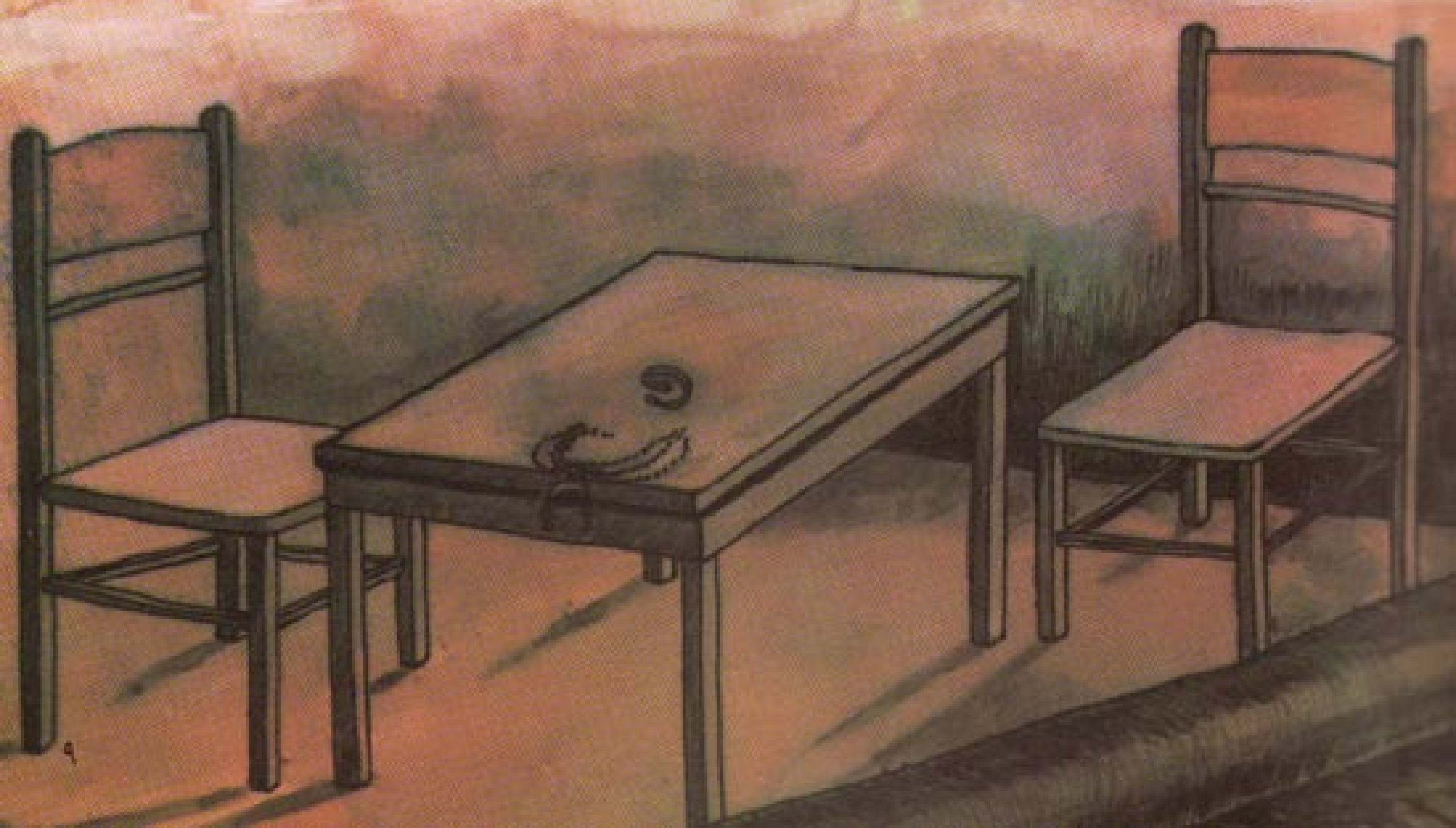

يقول أبو ابراهيم لزميليه الشيخ عطيه أحمد عوض ومحمد صالح «أبو خالد» ..

« لقد اخترنا هذه المنطقة في الجبال لتخزين اسلحتنا . وفيها تتمُّ لقاءاتُ الثوارِ وتدريباتهم .. وعلينا مراعاةُ الدقةِ والتروي ، حتى لا يكتشف الانجليز أمرنا .

ولكنَّ أبا ابراهيم وبعد مدّةٍ يعودُ للحديثِ مع رفاقِه من الشيوخ قائلاً ..

«أرى المعسكراتِ الانجليزيةَ تزيدُ من انتقامِها منَ العربِ .. وأرى المستعمراتِ اليهوديةَ تملأُ الأُفقَ .. وهم يطردون الفلاحين العرب من أراضيهم ، فإلى متى سننتظرُ ؟. متى سنترجِمُ هذهِ الخطبَ وهذا الاستعدادَ إلى عملٍ حقيقي ؟ .. سنضربُ المستعمرات اليهودية مستعمرةً مستعمرة .. ومستوطنةً مستوطنة» .

يتفرّقُ الرجالُ في الجبالِ .. وتبدأ عملياتُهم ضدَّ الحراسِ اليهودِ والجنود الانجليز ..

وتذهبُ مجموعةٌ إلى مستعمرةِ «نهلال» ويلقونَ فيها قنبلةً كبيرةً .. فيثورُ الانجليز ويقولُ الضابطُ الانجليزي لجنودِهِ -

- «يجبُ أن تكون هذه الحادثةُ سبباً لالقاءِ القبضِ على كلِّ الثوارِ .. وكلِّ من نشتبهُ بهم ، ولسوفَ ننتقمُ من هؤلاءِ العربِ صغيرِهم وكبيرِهم حتى يعلموا أننا لا نرضى لهم أن يقاوِمونا أو يقفوا ضدَّنا ..»

قبضَ الانجليزُ على العربِ المتهمينَ بالهجومِ .. وقبضوا على أبي ابراهيم .. وحدَّدوا موعدَ المحاكمةِ ..

ثلاثةٌ من القضاةِ الانجليز .. ضخامُ الجثةِ .. صفرُ الوجوهِ .. طوالُ القامةِ .. يلبسونَ الرداءَ الأحمرَ ويضعونَ على رؤوسِهم طاقيةَ الشعرِ الأبيضِ الخاصةِ بالقضاءِ ، يجلسونَ على منصةِ القضاءِ ، وقاعةُ المحكمةِ تغصُّ بالناسِ ...

– اليومَ محاكمةُ الثوار .. لن نفتحَ محلاتنا ، وسنذهبُ لسماعِ المحاكمةِ .

وتقولُ ام ابراهيم .. «وأنا أيضاً أريدُ أن أسمعَ المحاكمةَ .. لن أتركَ جلسةً واحدةً تفوتُني .. وسوف انقلُ كلَّ ما يقالُ في المحكمةِ لزوجي ، وللسجناءِ ، وانقلُ كلَّ ما أسمعُه من وراءِ الكواليسِ وبينَ الناسِ للمحامي الحرِّ الشريفِ «حنا عصفور» .

هناكَ خارجَ القاعةِ ، كان أحمد نايف يستعدُّ للانتقام من الثوار. «إنّها فرصتي للانتقام ممن يكرهونني لتعاوني مع الانجليز .. وهي فُرصتي لأُثبتَ لرجالِ المخابراتِ الانجليزيةِ أهميتي لهم..»

ويلتقي أحمد نايف بزميلِهِ في الخيانةِ «حليم بسطه» ويعملان على تزويرِ الشهاداتِ ضدَّ الثوار .. يشترون أناساً ضعيفي النفوسِ ليشهدوا ضدَّ أبي ابراهيم زوراً وكذباً .

تلحق أمُّ ابراهيم بالخائنين ، تراقبُ تحركاتهما .. وتراهما يدخلان محلاً تجارياً ليشتريا لكلٍّ من الشاهدينِ بدلةً وحطةً وعقالاً .. فتخبرُ محاميها حنا عصفور بذلك ، فيستعدُّ للجولةِ .

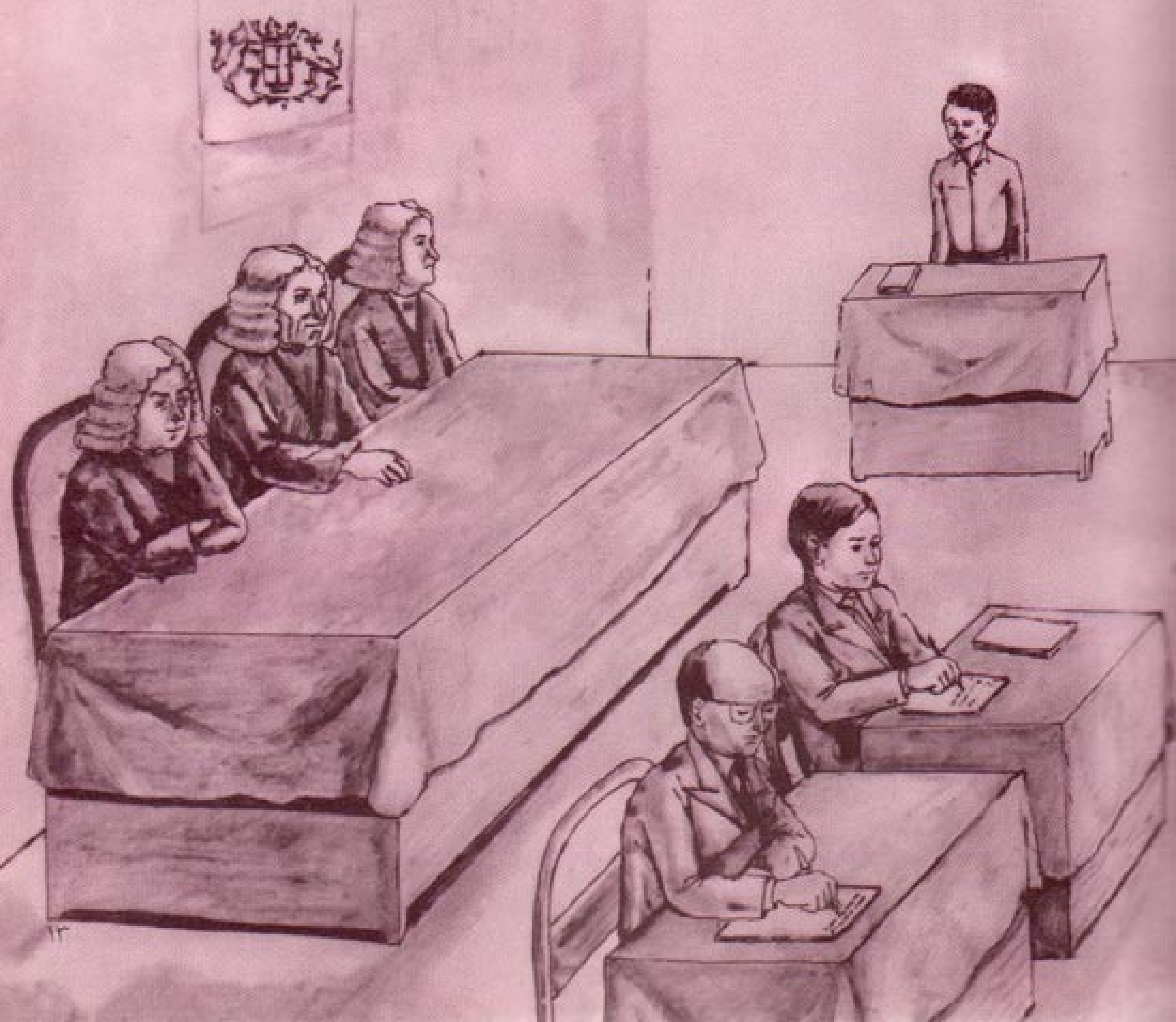

لقد استطاعَ ابو ابراهيم الكبير بسعةِ إدراكِهِ ورباطةِ جأشِهِ أن يفنِّدَ ويُلغي جميعَ الشهاداتِ الكاذبةِ التي أدلى بها الخائنان اللذان اشتراهما أحمد نايف وحليم بسطه ..

واستطاعَ المحامي حنا عصفور اثباتَ رشوة الشاهدين ...

بل إن المناضلينَ خارجَ القاعةِ استطاعوا اغتيالَ حليم بسطه الخائن .. وهذا أقلُّ جزاءٍ للخائنِ في حياتِهِ ، وإنْ كانَ جزاؤُهُ عندَ ربِّهِ أعظم ...

ولكنْ ! أينَ الشيخ عز الدين القسام وجماعتُهُ من هذهِ المحاكمات .. هل تركَ صاحبَهُ ورفاقَهُ يواجهونَ المحاكمةَ وحدَهم ؟ أم هلْ استطاعَ الانجليزُ من خلالِ المحاكمةِ ، الوصولَ اليهِ ، وهو رأسُ التخطيطِ العسكريِّ والسياسيِّ كلِّه ؟...

لقد حَرِصَ الشيخُ ابو ابراهيم الكبير هوَ واصحابُه المعتقلونَ ومحاموهم ، أن لا يزجُّوا باسمِ القسَّامِ في المحكمةِ اطلاقاً ، حتى لا يلاحِقَهُ الانجليزُ الذين ينتظرونَ تلكَ اللحظةِ بفارغِ الصبرِ .. ولكي يُبعدَ التهمةَ عن أبي ابراهيم ، بدأ الشيخُ عز الدين ورفاقه بضربِ المستعمراتِ ، حتى حوصرَ في أحراجِ يعبدَ ، واستشهدَ وهو يناضلُ حاملاً سِلاحَه حتى النهايةِ .

كان ذلك في نهايةِ عام ١٩٣٥م .

خرجَ أبو ابراهيم من السجنِ ونفسُهُ ممتلئةٌ حقداً وكرهاً على الانجليز المستعمرين واليهود اللصوصِ . واقتربت ام ابراهيم من زوجها وقالت :

- يا أبا ابراهيم ... ألا يكفيكَ ما تعرضتَ له من متاعب ؟.. الا يكفيكَ السجن؟.. ألن تلتفتَ الآنَ إلى بيتكَ وأولادِكَ ؟..

ويثورُ أبو ابراهيم قائلاً :

- لا .. لا والله .. لـن أرمـي السلاحَ من يدي ، ولن أتوقفَ عن مقاومةِ الانجليزِ واليهود طالمـا بقـي جنديٌ واحدٌ غريبٌ في أرضي .. !

وتضيفُ أم ابراهيم قائلة

- لقد حضرَ الجنودُ الانجليز في غيابِك ، وفتَّشوا منازلَ جميـعِ المناضلينَ للبحثِ عن السلاحِ ... دخلوا بيتَنَا هذا ... أتدري يا أبا ابراهيم ؟ خلَطوا العدَسَ بالزيتِ ، والطحين بالأرزِ ، والسكَّرَ بالمِلـح ... مزقوا الفراشَ ، وكسروا أبوابَ الخزاناتِ ... فعلوا هذا وغيرَهُ انتقاماً منَّا .. لكنهم واللهِ لن ينالوا منـا ، والحمدُ لله أنَّهم لم يجدوا أثـراً للسـلاحِ ...

لم يكنِ الانجليزُ يعلمونَ أن الأَسلحةَ مخبأَةٌ تحت السناسلِ وجدرانِ البيوت... يدفِنُها المناضلونَ تحتَ الأَرضِ ويبنونَ فوقها السناسل .. أو يخفونها داخلَ جدرانِ المنازلِ من الداخل ، حيثُ يحفرونَ جزءاً من الجدار ، ثم يعاودونَ وضـعَ الأَسمنت من جديدٍ لإِخفاء السلاحِ .

التفَّ الثوارُ حول قائدهم فرحين بعودته ، ويحدّثُهُ محمد صالح «أبو خالد» قائلاً :

أتدري .. أيها القائد ؟ .. جاءُوا يفتشونَ منزِلَنا .. إنهم لا يقرعونَ البابَ ، بل يدقُّونَه دقّاً ، ببنادِقِهم ، بأَحذِيتِهِم الضخمةِ ، وعندما يدخلون ، يبدأُونَ تفتيشهم العصبي هـذا ... يخرجوننا نحنُ الرجالَ خارجَ المنزلِ .. ويدخلُ كلُّ اثنينِ أو ثلاثـةٍ منهم غرفةً من غرف المنزلِ ... بعضُهم يدخلونَ غرفَ النومِ ، ليقلبوا الأَسرَّةَ رأساً على عقِب ، وبعضُهم الآخر يدخلونَ المطبخ ... هل رأيتَ يا أبا ابراهيم يوماً تنكةَ زيتٍ تُصبحُ ثورةً ضدَّ الاستعمارِ ؟ .. هل رأيتَ يوماً شوالَ قمحٍ يُصبحُ قنبلةً ضدَّ الانجليز ... ؟

هذا مـا يحصل . عندما يفتحُ الجندِيُّ المستعمرُ تنكةَ الزيتِ بكلِّ وحشيةٍ وقسوةٍ ، لينسكبَ الزيتُ الغالي على الأرضِ ، ويملأُ البيتَ والأرضَ والملابس ... عندها لا يكونُ زيتاً ... يكونُ ثورةً تملأُ النفسَ ... يكونُ حقـداً ... يكونُ ناراً تشتعلُ في نفوسِ نسائنا وأطفالنا ضدَّ هذا المستعمر . ! والقمح . . القمح يا أبا ابراهيم ، عندما تعملُ حربـةُ الجنديِّ الغريبِ في كيسِ القمحِ ، تمزِّقُه من رأسه إلى قاعِه ، مزقاً طولياً ، لينفجرَ الكيس ، ويسقطَ على الأرضِ حبات ... عندها لا يكونُ قمحاً ... بل قنابلَ موقوتةً تنفجرُ حينما نريدُ أن نفجِّرها .. ويكونُ رصاصاً لبنادِقنا وبنادقِ أبنائنا من بعدِنا .

كان أبو خالد هـذا مقداماً لا يخافُ الموت ، يطلبُ الموتَ فتوهب لهُ الحياة . وكانَ مـع زملائِهِ يوسف أبو درة ، والحاج عبدالرحيم محمد وغيرهم يقومون بأعمالٍ رائعةٍ .. حتى إن الانجليزَ أصبحوا يهابونَ الحضورَ إلى بعضِ مناطِقِ الجليل الأعلى في شمالِ فلسطين ، فلا يسيرون – اذا اضطروا – الاَّ بالدورياتِ المعزَّزةِ بالدباباتِ والمصفحاتِ ومئـاتِ الجنـودِ .

وقد أقـام أبو ابراهيم الكبير محكمة الثورة في الجبالِ .. كانت محاكمات وطنية ، يحكمُ فيها بالعدل . وقد شكـى لَهُ الثوّارُ عن زميلٍ لهم يطلبُ الأموالَ من القرى العربيةِ دونَ إذنٍ من القيادةِ ، وقد أخذ فرساً من قرية «معليه» قرب «ترشيحا» . وينذره القاضي مرتين وفي النهايةِ يأمُرُ بجلدِهِ وطردِه من الثورة. فالثورةُ نقاءٌ وطهرٌ ، ومن لم تطهِّرُ الثورةُ نفسه فلا بقاءَ لَـهُ فيها .

قامت أقوى المعارك البطولية في شمال فلسطين وفي لـواء الجليل وأرسل القائـدُ إلى القيادةِ العامة في سوريا بتقاريره العسكرية :

بسم الله الرحمن الرحيم

يومُ الجمعةِ الواقع ٢٣ أيلول ٩٣٨ بينما كنا مرابطين في جبل الجرمق في موقع كائن بين قرية بيت جين ومارون وردت اخبارية للجيش عن مكاننا الذي نحن مرابطين فيه ، فأسرعت طائرةٌ وأخذت تلقي قنابلها ومن مدافعها الرشاشة على المجاهدين . ولكن الله سبحانه وتعالى نجّا الجميع ولم يقتل أحد ، بل جرح شخص واحد وقد حضرت قوة من الجيش تساعد الطائرات فالتقت النجدات المحمدية ووقع الجيش بين أيدينا وأيدي النجدات . وأخذت النجدات تصليهم برصاص بنادقهم حتى جعلهم لم يتمكنوا من الوصول إلى امكنتنا الحصينة . وقد سقط من الجنود ما يقرب من ٢٥ جندياً وليس كما أذاع الراديو بجرح ثلاث منهم ، ولم يستشهد أحد من المجاهدين بفضل الله وبإيمانهم ، والله يؤتينا النصر من فضله .

٢٦ / ايلول ٩٣٨

المتوكل على الله

(توقيع)

أبو ابراهيم

قال أبو ابراهيم بفرحةٍ وهو يسترجعُ ذكرى هذه المعركة :

- لقد شاهدتُ بأمّ عيني طائرات العدوّ تحترقُ ويتصاعدُ منها الدخان ... كانت أياماً جميلةً تلك التي نقضيها في الجبالِ وبين المغاورِ ، نفترشُ الأرضَ أحياناً ، ونلتحفُ السماء احياناً أخرى ... نأكلُ المعلبات أو نصبرُ على الجوع ، إلى حين وصولنا إلى القرى العربيةِ المجاورة حيثُ يستقبلُنا الأهالي بالحبّ والترحابِ ...

ولكن ... [illegible] أن يكون المحاربُ دونَ سلاحٍ ... يصبرُ على الجوع ... يصبرُ على البرد ... يصبرُ على فراقِ أهلِهِ ... يصبرُ على المرضِ .. ولكن السّلاح !!! ... لا ... وقد بدأ السلاحُ يتناقصُ ، والذخيرةُ تنضُبُ .. ومصادِرُ تزويدِنا بالسّلاحِ بدأتْ تمنعُهُ عنا .. أتدرون لماذا ؟ يريدون أن نوقِفَ القتالَ ضد جيوشِ الانجليز ، لأنَّ الانجليز وعدوا السياسيين أنّهم سيحسِّنونَ موقفهم من فلسطين ، اذا نحن الثوارُ أوقفنا عملياتنا ضدهم ...

لقد بدأت في أوروبا في ذلكَ الوقتِ وفي عام ١٩٣٩م الحربُ العالميةُ الثانيةُ ... ودخلَ الانجليزُ في حربٍ شاملةٍ ضد الالمان وايطاليا .. في كل مكان .. ولذا فهم يريدونَ الأمانَ لجنودهم في فلسطين .

وسافرَ أبو ابراهيم إلى سوريا علَّهُ يستطيعُ تأمينَ الأسلحةِ والذخيرةِ .. ولكنَّهُ هناكَ اصبحَ في ضيقٍ اكبر .. إنَّهُ الاستعمارُ الفرنسيُّ يضيِّقُ الخناق عليه وعلى المناضلين وعائلاتهم .. بل لقد نسفَ الفرنسيون مقر القيادةِ العليا للثوار في دمشق ، فما العمل الان ؟.. الحكومةُ الانجليزيةُ في فلسطين تمنعُ عودتهم لبلادهم..

وتصدرُ البلاغَ التالي : «تعطـي حكومة فلسطين مكافأة لكل من يقدم إخبارية تؤول مباشرة إلى القبضِ على الأشخاصِ المذكورةِ اسماؤهم أدناه :

١ ـ خليل محمد العيسى المكنى بأبـي ابراهيم الكبير من حيفا ٥٠٠ جنيه .

٢ ـ عطيه أحمـد من بلد الشيخ ٥٠٠ جنيه .

٣ ـ عبدالرحيم الحاج محمد من ذنابه ٥٠٠ جنيه .

٤ ـ يوسف سعيد ابو الدرة من سيله الحارثيه ٢٥٠ جنيه .

٢٢ ـ الـخ ....

وجـاء الفرجُ من العراق ..

ـ «أريدُ أنْ أحمـي الفلسطينيين من تعسُّفِ الفرنسيين والانجليز .. ولذا فإنني أدعوهم للحضورِ إلى العراقِ ، فأؤمنَ لهم الاستقرارَ الذي يمكِّنُهُم من الاستعدادِ والتدريبِ لتحرير بلادهم.»

كان هـذا موقفُ الملك غازي ، ملك العراق .. ولكن الملكَ توفيَ في ذلك العـام في حادثِ سيارةٍ مفاجـيءٍ للجميـع ! ! ...

ـ «ما هذا العذابُ يا أماه» ؟ . قالَ يحيى ثاني ابناءِ أبي ابراهيم لأُمّه : «إلى متى سنبقى هكذا مُشرّدين .. أحملُ كل يومٍ هذه الصينية اللعينةَ على رأسي لأبيعَ الكعكَ للناس . وأخي الأكبرُ يعملُ في محلاتِ المرطباتِ .. وأخـي الثاني على صِغَرِ سنّهِ يعملُ في معملِ النسيج ... فإلى متى سنبقى هكذا ؟» ..

ـ « لا تيأس يا بني .. إن الله معنا .. وكلُّ أملنا أن نستطيعَ العودةَ لبلادِنا وأراضينا» ..

وتمَّ ذلك .. فلقد استطاعت الحكومةُ العراقيةُ أن تضغَطَ على الحكومةِ الانجليزيةِ ، وتعيدَ جميـعَ العائلاتِ الفلسطينيةِ في باصاتٍ إلى مدينةِ القدسِ ، حيثُ التحق ابناءُ المناضل ابي ابراهيم الكبير بالمدارس لاتمام دراساتهم .

- «اين أبي ؟ لماذا لم يحضر معنا يا أمي» ؟

- إنَّهُ سيسافر مع رفاقِهِ إلى المانيا».

- «ولماذا يسافرون إلى المانيا» ؟

- سيلتحق أبوك ورفاقُهُ بالكليات الحربيةِ في المانيا.. ليتدربوا تدريباً جيداً على القتال .

نالَ ابو ابراهيم رتبةً عسكريةً عالية في برلين . . وعادَ ليقود المناضلين بمزيدٍ منَ التدريبِ والعلمِ . . فالعلمُ والشجاعةُ اذا اجتمعا كان القائدُ متميزاً قديراً .

وقفَ أبو ابراهيم يرسِمُ لجنودِهِ الخطةَ للدفاع عن أراضي فلسطين بعدَ انسحابِ الانجليزِ منها في عام ١٩٤٨م .. فقال :

- «سنبدأ أولَ معاركنا باسم الله وعونِ اخواننا السوريينَ ، وستكونُ «قلعةُ جدين» أو كما يسميها البعضُ مستعمرةَ «مشمار هارون».

أولَ هدفٍ لنا ...

سنطوِّقُ منطقةَ القلعةِ نحنُ المشاةَ الفلسطينين ، فنحنُ نعرِفُ طبيعةَ هذه المنطقةِ – منطقة صفد – نعرفُ أراضيها ومرتفعاتها ، ثم تلحق بنا القواتُ الثقيلةُ والدباباتُ بقيادةِ القائدِ السوري «أديب الشيشكلي» لضربِ المستعمرةِ .

وتوالت المعارك .. ولكنَّ وقفَ القتالِ أي الهدنة ، فُرِضَ على العربِ واليهود .. ! كان اليهودُ قد استولوا على قسم كبيرٍ من فلسطين ! واُضطرَّ أبو ابراهيم إلى إيقافِ معارِكِهِ ضدَّ اليهود ! مقدراً أنها هدنةٌ مؤقتةٌ . وأن الحربَ كرٌّ وفرٌّ ، وهزيمةُ اليومِ قد تكونُ نصراً غداً بإذن اللهِ ثم ارادةِ الشعب .

لقد عاشَ أبو ابراهيم الكبير - عقِبَ وقفِ اطلاقِ النار في فلسطين - عاش في سورية ، يدرِّبُ الشبابَ العربَ المقاتلينَ على حملِ السِّلاحِ . ثم انتقلَ إلى عمان ليقضي شيخوختَهُ فيها ، هادئاً ، مفكراً ، قارئاً قولَه تعالى : «وما كان لنفسٍ أن تموتَ إلا بإذنِ اللهِ كتاباً مؤجَّلا» . . . ولقد زرتُه يا أحبتي في بيتِه ، وتحدثتُ إليه ، وشاهدتُ سِماتِ البطولةِ على وجهِهِ ، وأحسستُ بالعزيمةِ في كلامِهِ ، ولقد حدَّثني عن ذكرياتِه الجميلةِ في فلسطين ، وعن حبِّه لها ورغبتِهِ أن يعودَ شاباً قوياً ليدافعَ عنها ويموت على ترابِها . . وهو يثقُ فيكم شبابَ الغدِ - ويرجو أن تواصلوا ما بدأه هو ورفاقُهُ وتتوجوا اعمالَهم بالنصر الكامل بإذن الله .

ـ إلى الآباء والمربين ـ

اعتمدتُ في الحصول على المعلومات والاحداث التاريخية على مصدرين اساسين ، اولهما الكتب التاريخية التي تبحث في القضية الفلسطينية وهي

١ ـ النكبة ، في أثر النكبة	عارف العارف .
٢ ـ تاريخ فلسطين الحديث	الدكتور عبد الوهاب الكيالي
٣ ـ بطولات عربية	عيسى الناعوري وابراهيم قطان
٤ ـ الثورة العربية الكبرى	صبحي ياسين
٥ ـ كفاح الشعب الفلسطيني	اسماعيل الخطيب الطوباسي .
٦ ـ وثائق الحركة الوطنية ما بين ١٩١٨ ـ ١٩٣٩	اكرم زعتير .
٧ ـ جهاد فلسطين العربية	عمر ابو النصر وابراهيم نجم واميل عقل
٨ ـ تهويد فلسطين	ابراهيم ابو لغد
٩ ـ جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن	صالح مسعود ابو يصير
١٠ ـ كفاح الشعب الفلسطيني	عبد القادر ياسين
١١ ـ تطور القضية الفلسطينية تاريخيا وبشريا	رشيق محمد رفعت
١٢ ـ مجلدات مجلة فلسطين التي اصدرتها الهيئة العربية العليا	
١٣ ـ سلسلة في التاريخ الفلسطيني للنشئ الصاعد	عبد العزيز السيد احمد
١٤ ـ يوميات فلسطين	عبد السلام أحمد حبيئة

هذا عدا عن الكتب التي قرأتها عن القضية عموما ، والتي كانت الخلفية العامة لاهتمامي بموضوع فلسطين ، ارضها وشعبها .

وثانيهما : المقابلات الميدانية التي أجريتُها مع الأشخاص المعنيين بالأمر .. فلقد قابلتُ البطل نفسه قبل التحاقه بالرفيق الاعلى وقابلتُ زوجه وابناءه الذين رافقوه في رحلة الكفاح ، عاشوها فحفظوها .

وكنتُ اذا ما تعثرتُ في معرفة الحقيقة ، أو ضاقت بي الأمور اتصل بالمهتمين بالأمور السياسية والعسكرية ، استطلعُ رأيهم ، واستنير بمعرفتهم .. أو اتصل بمن حولي من افراد عاديين ، هؤلاء الناس الذين عاشوا القضية ، عانوا من الاستعمار والصهيونية ، ناضلوا ، ثم فقدوا الأرض والوطن .

ولقد كنتُ أحياناً أحتارُ كيف سأشرح لاولادنا المفارقات السياسية والعسكرية العجيبة التي جرت على الساحة الفلسطينية . والاسباب التي اوصلتنا الى هذه الهزيمة المرّة ، وكل فردٍ منا كان ولا يزال مستعداً للتضحية بنفسه وماله في سبيل وطنه :

حاولـــتُ شرح عواطفـــي مكبوتة   حاولتُ فاستعصى علي كلامي .. !

لذا فإنني اتوجه اليكم ، ايها الاباء وأيها المربون ، الى كل من يهتم بالموضوع ويعتبره ـ كما اعتبره ـ امانةً في أعناقنا ، أن اشرحوا انتم لأبنائكم ما استعصى علي شرحه ، فصّلوا ما أوجزت واطيلوا ما اختصرت وليكن شعارنا دوما أن نجعل من تاريخنا عاملاً حافزاً لاطفالنا وأن نبعد عنه عوامل الاحباط

والله الموفق

روضه الفرخ الهدهد .

عمل رائده الاخلاص

بقلم عصام حمّاد

أحسنت السيدة روضة الهدهد بي الظن ، فطلبت إلي أن أقدّم هذا العمل « الكبير » الى قرائها « الصغار » أو لعلّ المقصودين بتقدمتي « الصغيرة » بالاحرى هم أولئك « الكبار » من أولياء أمور الطفل والمهتمين بأدبه وثقافته .

وكان مما لا بدع فيه ـ بالطبع ـ أن ترفق طلبها ـ مشكورة ـ بأصول العمل ومتونه ، وبنسخة من سابقه في « الحكايات البطولية » ، ألا وهو العمل المرصود لشيخنا في سوح البطولة . . . عز الدين القسّام .

أما الشيخ الثاني في هذه السوح ، أبو ابراهيم الكبير ، موضوع العمل الجديد للسيدة روضة ، فيكاد يكون جندياً مجهولا في ميدان النضال العربي الفلسطيني الطويل الطويل . بل إنه ليكاد يكون صفحة منسيّة من سفر هذا النضال الذي ما فتئت يد العدوّ ـ وأحياناً يد الصديق ـ تعمل على تناسيه مركوناً تحت غبار السنين .

ولولا أن الشيخ القديم الجديد كان قد لقي وجه ربّه منذ أمد قريب ، لما تردّد اسمه مؤخراً في مقام التجلّة والاكبار ، ولما لهجت الألسنة بحمده والثناء عليه . ولظل هذا المضمار حكراً لمن يستحق ومن لا يستحق من الأبطال وغير الأبطال على السواء .

ولا غرو . . .

فالنـــاس مذ كانـــوا . . . ذوو فـــوق وليس للمضعـوف فيهـم نصيب ! !

غير أن واضعة العمل الذي هو بين أيدينا ، لم تكن كما يتبدى لكم فيه من هؤلاء الناس . يشهد على تميزها عنهم فعلاً في هذا السبيل ، نهوضها أصلاً الى مثل هذا العمل ، ومبادرتها من أجله الى لقاء شيخنا أبي ابراهيم قبيل لقائه لربه بأيام ، وهو هو اللقاء الذي لم يك ثمة مندوحة عن أن تفوتها طبعاً تغطيته آنذاك في « المتن » ثم ما لبثت أن استدركته في « الشرح » . . . وذلك بعد توقف قلب الشيخ الكبير عن الخفقان .

فأول ما يلفت النظر في هذه « الحكايات البطولية للأطفال » إذن ـ علاوة على ما تبدّى جليا في أولاها ونرجو أن يتبدى كذلك في تواليها من روعة الاخراج ـ إنما هو هذا الاخلاص المتبدّي بصورة أجلى في الحافز الذي حدا بصاحبتها الى إغناء مكتبة الطفل العربي بها . وإنه لأمر في الحق لو تعلمون نادر وعظيم ! !

ثم إني لأذهب الى مدى أبعد من هذا فأقول إن السيدة روضة لم تكتف بإخلاصها هي نفسها في هذا المضمار ، وانما راحت تستهدف بحكاياها هذه تعليم ناشئتنا الصغيرة بطريقة محسوسة ملموسة ، وإن كان لا يجافيها الشوق والجمال واستثارة العاطفة ، المعنى الحقيقي للكلمة . . . كلمة « الاخلاص » .

وانها لواحدة فقط ـ للأمانة ـ من عشرات أمثالها من الكلمات الكبيرة الكبيرة . . . المفردات التي ما نفتأ نرددها بألسنتنا وحلوقنا وأوداجنا آناء الليل وأطراف النهار . . . ولكن دون أن تتردد لها أصداء في قلوبنا كما يجدر بها أن تتردد . . . بل ودون أن نفقه لها في البداية المعنى الذي يخلق به أن يُفقه . . . واذا فقهنا . . . فهو المعنى الذي يعجب العدوّ ويربط « بالعجلة » ويوقع في « الشرك » .

نعم . . . إن « المجد » ... و « الجهاد » . . . و « الكرامة » . . . و « الحريّة » . . . و « الوطنية » . . . و « الانتماء » . . . و « العدالة » . . . وعشرات عشرات من التعابير الطنّانة الرنّانة لما تنفك في حاجة ماسّة ومتجدّدة للتفسير والشرح والتحليل في مخبر العقل والادراك و « العملية » وروح العصر .

وليس ثمة ما هو أجدى من أن تُسدّ هذه الحاجة عند طراوة الطينة وصفاء النفس في عمر الطفولة البريء .

عمان في ٢٧ نيسان (ابريل) ١٩٨٠

السعر بالاردن دينار واحد